

٩٠  
الفصل التاسع

دور الجنس والوظيفة الاجتماعية

obeikandi.com

## التماثل والمصير البيولوجى :

لابد أن يتماثل الصبيان بأبائهم والبنات بأمهاتهن ؛ لتحقيق مصيرهم البيولوجى .  
والتماثل عملية حاسمة ، وبها يصبح الصبيان رجالاً والبنات نساءً . ويتيسر التماثل  
ويسهل عندما تبنى العلاقات مع الأطفال على الاحترام والحب . ويكسب ود الأطفال  
وحبهم ، فنحن نكسب أيضاً رغبتهم فى محاكاة أدوارنا الجنسية الخاصة . ولكن الآباء  
أنفسهم ليسوا على بينة تامة بما تستلزمه أدوارهم .

## نماذج الأمومة والأبوة :

فى كثير من المجتمعات نجد أن وظيفة الأم محددة بوضوح أكثر عن وظيفة الأب .  
فالأمومة معناها الحضانه بكل معانيها من رضاعة ، وعناية بأمر الطفل ، وحبه ،  
واللعب معه ، والابتسام له ، ومناجاته ، وتدليله . والحاجة إلى رعاية الأمومة مطلب  
بيولوجى . ونقص الأمومة يعد خطراً على صحة الطفل العقلية ، ويهدد حياته نفسها .  
وأما الأبوة ، فعلى نقيض ذلك ، تستلزم طبيعة أقل وثقافة أكثر . ولو تحدثنا من وجهة  
النظر البيولوجية ، فإسهام الأب يبدأ وينتهى قبل مولد الطفل . وجميع نشاطات الأبوة  
الأخرى يحددها المجتمع . وهكذا ، نجد فى بعض المجتمعات ، أن الآباء يهتمون فقط  
بالأبناء . فى حين أنهم قد لايعترفون بالبنات . وفى مجتمعات أخرى يحتفظ الأب بدور  
المدرّس المتسامح ، فى حين أن تربية الطفل متروكة كلها للأم . وفى مجتمعات أخرى ،  
يحكم الأب أطفاله مثل الملك المطلق .

وفى المجتمع الأمريكى ، الرئيس الشرفى للأسرة هو الأب ، أما دوره ووضعه فهو  
مبهم غالباً ، وغير محدد تحديداً واضحاً . وتؤكد بعض الدراسات أن الأب الأمريكى

هو العائل الغائب ؛ ففي الصباح يندفع في عجلة من أمره ، ويختفى طول اليوم ، ويعود ليلاً مرهقاً متعباً . وفي نهايات الأسبوع ، إذا لم يكن يلعب الجولف ، فهو يشاهد التلفزيون أو يجز خضرة حديقة البيت . والأطفال ليس لديهم فرصة كبيرة في مشاركة آبائهم في نشاطات ومحادثات ذات معنى أو هدف .

ونتيجة لذلك ، فالأم هي الشخصية المهيمنة في الأسرة ، وهي الوحيدة تقريباً التي تفرض النظام أو الانضباط . ويعرض مثل هذا الوضع دور الأم القديم للخطر . ففي الأزمان السالفة ، كانت الأم تمثل الحب والحنان ، في حين أن الأب يجسد الانضباط والمبادئ الأخلاقية وقواعد السلوك الخاصة . والأطفال - خصوصاً الأولاد - يستمدون التزامهم وضمايرهم منه بشكل رئيسي . لقد كانت الصورة التي يصفى عليها الأب صفته الذاتية ، وتصبح كمبدأ هادياً ، فتحذرهم من المغريات ، وتؤنبهم على التعديات وهكذا ، فهذا الأب يخدم كحلقة وصل بين الأسرة والعالم الخارجي .

وفي الأسرة الحديثة ، لم يعد دور كل من الأم والأب متميزاً : فكثير من النساء يعملن خارج البيت في «عالم الرجال» ، وكثير من الرجال يجدون أنفسهم متورطين في نشاطات الأمومة ، مثل الرضاعة وتغيير ملابس الأطفال واستحمامه .

وبالرغم من أن بعض الرجال يرحبون بهذه الفرص الجديدة من أجل مزيد من الترابط مع أطفالهم ، فهناك الخطر الذي قد ينتهي إليه الطفل الرضيع بحصوله على أمّين ، بدلاً من أم وأب .

### دور الأب :

يحتاج الطفل إلى أب يقبل دوره . إن الرجولة لا يمكن اكتسابها من دورة دراسية . بل يمكن تعلّمها في دورة الحياة اليومية من أب يخدم كنموذج يحتذى به . ويقول «فرويد» : «ليس هناك حاجة في الطفولة أقوى من الحاجة لحماية الأب» . والطفل يحتاج من طفولته المبكرة ، أن يعي أن له أباً يمكنه أن يحميه من الخطر .

وهناك ثلاثة أخطار - بصفة خاصة - تتطلب تواجد إرشاد الأب . يحتاج الطفل إلى

الحماية ضد تهديدات العالم الخارجى ، وضد المخاوف من العالم الداخلى ، وضد حماية الأم الزائدة ، إن العالم الخارجى يُعدُّ مكاناً خطراً على الطفل الصغير . وببساطة لكى يبقى على قيد الحياة ، يحتاج إلى حماية ضد مخاطر الأدوات والأجهزة الحديثة فى المنزل ، وضد المشاكل التى قد تنشأ خارج المنزل . فعليه أن يتعلم ، بين أمور أخرى كثيرة ، عبور الشارع بدون أن تصدمه سيارة ، واستخدام الأجهزة الكهربائية بدون أن يصعق كهربائياً .

ويحتاج الطفل أيضاً إلى مساعدة الأب فى التعامل مع رغباته الغاضبة وخيالاته المخيفة ، وكل صبى صغير يريد أمه له وحده . ولايتسامح مع أى منافس ، يجعله يتخلص من أبيه وإخوته وأخواته فى الخيالات والأحلام . وربما تتحول الخيالات إلى عالم عنيف متقد والأحلام إلى كوابيس . وطالما أن الطفل لايقدر بعد على فصل الرغبات عن الأفعال ، فإنه يصبح خائفاً بشكل يائس . وليس أمامه طريق يعرف منه أن أفكاره لن تصبح واقعاً . وهنا يكون دور الأب ذا شقين . معاينة إحباط الطفل ، وغضبه ، وخوفه ، بكل عطف وتودد ، وفى نفس الوقت ، ينقل ، بقوة صامته ، رسالة الطمأنينة : « لا تقلق يا بُنى ، فلن أدعك تنفذ رغباتك المخيفة » .

وبعض الآباء لايدركون الحاجة إلى حماية الطفل من خيالاته المدمرة . وفى بعض البيوت ، يمكن غزو حجرة نوم الوالدين من قِبَل الأطفال فى أى وقت من النهار أو الليل . وفى بيوت أخرى ، يسيء الأطفال للأم فى حضور أب متساهل أكثر من اللازم . إن مثل هذه الأمور ، من الأفضل ، عدم التسامح فيها . فهى لا تجلب إلا القلق للطفل والمعاناة للوالدين .

وكما أن الأب يجب أن يحمى الأم من طفل مسيء ، فهو يجب عليه أيضاً أن يحمى الطفل من الأم المفرطة فى حمايتها وعنايتها . ولكن بعض الأمهات يستمتعن بتدليل أطفالهن حتى بعد أن يفوتوا هذا السن . إن من مهام الأب أن يزود الطفل بحب يتضمن أكثر من مجرد الحماية ، يتضمن التحرير والعتق أيضاً . وبينما حب الأم يُشعر الطفل بأنه محبوب ، فتقاة الأب وجرأته تقول للطفل أنه كفاء مقتدر . وبسبب تربيتهم

الأقل كَبْتاً . فمن الأسهل على الآباء أكثر من الأمهات أن يسمحوا للأطفال بأن يقوموا بتجربة الاستقلال . وتشجع رغبة الأب في مشاهدة مغامرات ومجازفات الطفل الجديدة والموافقة عليها على نمو الطفل بدون شعور بالذنب .

ويستطيع أن يتقبل الثقة والجرأة للطفل في أى وقت وفي أماكن كثيرة . وإبرازها لا يتطلب بالضرورة مهارات خاصة في الرياضة أو في ممارسة الهوايات : إنها تحتاج فقط إلى القدرة على الإحساس بحاجات الأطفال والرغبة في العمل كمرشد حازم ودليل مشجع ودود .

### معايير للصبيان والبنات .

إن كلاً من الصبيان والبنات يحتاجون إلى مساعدة في تقدمهم نحو مصائرهم البيولوجية المختلفة ، ويستطيع الآباء مساعدتهم بعدم طلب نفس معيار السلوك من كلا الجنسين فيسمحون للصبيان بمزيد من الصخب بسبب طاقتهم الأكبر ، ولأن المجتمع يتطلب منهم أن يكونوا أكثر صلابة .

ويجب على الأمهات والمدرسات أن يُحجمن عن تشجيع السلوك الأنثوى في الصبيان . ويجب على الصبيان ألا يحملوا أسماءً أنثوية ، أو يرتدوا ملابس ملتصقة ضيقة ، أو يطولوا صفائر شعرهم كالبنات . ، ويجب ألا نتوقع منهم أن يكونوا سلسين لينى العريكة مثل البنات ، أو يكون لهم سلوك شبيه بسلوك البنات . والقول الفصل هو «الصبيان سيكونون صبياناً» ، وهذا يتطلب التفاوت المسموح لتفريغ الطاقة التى فى النشاطات المذكورة العنيفة .

ويجب على الآباء ألا يتخذوا عناية خاصة لتأنيث الابن لحيية أملهم فى عدم الحصول على ابنة . وقد يبدو الصبى الحلو ذو الشعر المقصوص جميل المحيا للأقارب ، ولكنه بالتأكيد سيكون جباناً مخنثاً مع أقرانه . . . إن كان له أى أقران . وتعتبر هذه وصمة عار تنخر فى شخصيته . وتتلصص صورة الطفل عن نفسه وشخصيته مع زملائه .

والبنات ، أيضاً ، يجب ألا يقمن بدور الجنس الآخر بسبب اشتياق الوالدين الذى

لم يتحقق لطفل من الجنس الآخر . وبالرغم من أن البنت تحسر هيبة أقل في كونها صحابة تحب اللعب كالصبيان من الصبي المخنث ، فإنه من المهم مساعدتها في الحصول على متعة الأنوثة وفخارها .

وتحتاج البنات أن نقدرهن ونستمتع بهن لكونهن بنات . وأفضل من ينقل هذه المشاعر هي الأم التي تحب كونها سيدة . ومع ذلك ، يجب على كلا الأبوين أن يكونا واعيين تماماً للحاجة في غرس ذكورة أو أنوثة أطفالهما . فمن الملائم للأب أن يطرى ابنته على منظرها ، وردائها ، وأنوثتها ، وليس من الملائم له أن يشغلها في الملائمة الوهمية ، واللعب الخشن ، خشية أن تستتج أن أباهما سيحبها أكثر لو كانت صبياً .  
وتوفر حياة الأسرة فرصة متسعة لتعليم الأطفال الحقيقة الأساسية في أن الرجال والسيدات في دوريهما المختلفين يحتاج بعضهم إلى بعض ، ويحتاجون إلى عناية ورعاية بعضهم البعض .

### التربية الرجالية والتربية النسوية :

تبدأ التربية بشقيها الذكري والأنثوي مبكراً في الحياة . ومع ذلك ، فيجب ألا نجبر الأطفال على القيام بدور الجنس المناسب في وقت مبكراً جداً . فخلال فترة ما قبل المدرسة ، يجب على كل من الصبيان والبنات أن يلعبوا بالعرايس والدمى ، ويشغلوا أنفسهم بنشاطات «الأمومة» . وهذا أمر طبيعي ، بالرغم من أن بعض الآباء والأمهات يبدون فزعين عند رؤية صبي عمره خمس سنوات يطعم دمية .

لذا يجب السماح لصبيان وبنات فترة ما قبل المدرسة باستخدام نفس الدمى والألعاب إذا كانت هذه رغبتهم . ففي هذه السن لا مدعاة لوضع حد صارم بين لعب الصبيان والبنات فيجب على الآباء ألا يجعلوا من أولادهم الصبيان الذين في عمر أربع أو خمس سنوات أبطالاً في الملائمة ، وهم قد يفضلون اللعب بدمية ، فلأبد لأطفال فترة ما قبل المدرسة من كلا الجنسين أن يستطيعوا اللعب بكل من الألعاب الأنثوية والذكورية بدون خوف من الاعتراض .

وخلال السنوات الدراسية يبدأ التأكيد على الاختلافات الجنسية ، فتتوقع أن تنمو في الصبيان والبنات اهتمامات وتطلعات مختلفة : فيحتاج الصبيان إلى تحقيق تميز في النشاطات المذكورة والبنات في النشاطات الأنثوية . ويتم تعزيز التماثل الجنسي عن طريق توفير الاهتمامات والنشاطات المختلفة ثقافياً كذكرية وأنثوية .

وتعتبر سنوات المدرسة فترة طيبة لتعميق علاقة الابن بأبيه والبنات بأمها . وهذا هو الوقت المناسب لتعريف البنات بفنون الطبخ والفنون المنزلية الأخرى . فتستطيع الفتيات الطبخ وإعداد بعض الوجبات البسيطة مع الخياطة وأشغال الإبرة وأعمال المنزل على أن يكون التأكيد على المتعة والسعادة في التدبير المنزلي . وهذه هي الساعة الذهبية للأم في أن تنقل لابنتها الرضا بكونها امرأة ، وزوجة ، وأماً .

وعلى الأب ، أيضاً ، أن يرحب باستعداد ابنه للارتباط به ، ورغبته في المشي ، والحديث ، وطريقة ارتداء الملابس مثله . ويجب عدم السخرية من هذه المحاكاة . بل يجب تشجيعها . وقد يؤدي تقليد اللغة والسلوك إلى محاكاة الاهتمامات والقيم . وفي اتصالها الحميم يضرب الأب لابنه الأمثال في معنى أن يكون رجلاً في الأسرة وكذلك في المجتمع . ويستمد الأطفال كثيراً من الفخر بمراقبتهم لمهارات الأب ، وجهوده ، وعطاءاته في مواقفه خارج البيت . وقضاء بعض الوقت مع الأب في مكان عمله وبالقرب من نشاطاته العامة في الحياة تجعل الأبناء يدركون عالم الرجل في عمله وفي مجتمعه .

### نماذج أسرية مختلفة :

إن أفضل نماذج التماثل هي في الآباء الذين يحترمون أدوارهم ودور كل جنس منها . وبطرق عديدة ينقل سلوكهم اليومي لأطفالهم أن الذكورة والأنوثة مقدرة .

وفي بعض الأسر ، يتلقى الأطفال الرسالة في أن مصير الرجل هو في صنع علامته البارزة في العالم وفي ترك بصماته في عصره وإلى الأبد . ويغذى مثل هذا الجو أحلام عظيمة للاكتشاف ، والاختراع ، والإنجاز في الفنون والعلوم . ويتنظر أيضاً من النساء

أن يساهمن في المجتمع بالإضافة إلى رعايتهن للأسرة . ويعد مثل هذا الرأي ناجحاً إذا قبل الأب والأم دوريهما المختلفين بالرضا ، وأظهرا تقديراً لوضع كل منهما ، وشاركا في إنجازات كل منهما .

وفي بعض البيوت ، سيحصل الأطفال على رسالة مختلفة . حيث تكون المرأة ضجرة من تربية الأطفال ، ورعاية المنزل ، أو حيث لايقدر الزوج التعقيد والبراعة المنوطة بكون المرأة زوجة وأماً ، فسينظر الأطفال نظرة متدنية لأدوار النساء التقليدية . وربما تصبح البنات في مثل هذه البيوت لديهن روح المنافسة ، ويشعرن بالإجبار على أن يتفوقن على الصبيان ، وفيها بعد على الرجال في ألعابهم .

وهناك رسالة مختلفة تأتي من البيت الذي فيه أدوار الجنس معكوسة . حيث المرأة هي الرئيس في القول والفعل . وكما قال أحد الأزواج :

- أنا أقرر الأمور الكبيرة ، إذا كانت الصين ستقبل في الأمم المتحدة ، أو ما شابه ذلك . وتقرر زوجتي الأمور الصغيرة : السيارة التي نشتريها ، المنزل الذي نعيش فيه ، الكلية التي يلتحق بها الأولاد .

فالأزواج في مثل هذا البيت يبدو أنه يتجنب أن يكون رأس المنزل . إنه يشير بصراحة إلى زوجته على أنها هي الرئيس وعندما يسأله أطفاله عن أى قرار ، تكون إجابته عادة :  
- أسأل أمك .

في مثل هذه البيوت ، ينشأ الأطفال وهم يكونون احتراماً وإعجاباً ضئيلين للرجال . ويرى كل من الصبيان والبنات الأب من خلال عيني الأم : كاريكاتيراً لرجل .

ويتأثر كل من الأبناء والبنات بنموذج الأب الضعيف ، والأم المسيطرة . وربما يحاول الصبيان في التعويض وإثبات رجولتهم بتناول المسكرات أو الاختلاط الجنسي غير الشرعى ، أو الجنوح ، أو القسوة على النساء . وغالباً ما تنسخ البنات في اختيار أزواجهن نماذج مطابقة لبيتهن الأصلية ، وبذلك تستمر الأدوار المعكوسة لجيل آخر .

## دور الجنس والوظيفة الاجتماعية :

إن أهمية تربية الأبناء والبنات الذين هم أفراد محب ألا تغطط الحاجة في تنشئة الأبناء الذين هم ذكور والبنات اللاتي هن إناث .

وفي رغبتنا بالمساواة بين الجنسين ، يجب الانسى أن بعض الوظائف البيولوجية ثابتة لايمكن تغييرها ، ولها عواقب سيكولوجية واجتماعية . ولما كانت الأدوار الاجتماعية لاتعتمد في محركاتها بشكل ضيق على أساس وظيفة الجنس ، فهي لا يمكن فصلها تماماً عنها . وحيث إن مصير الغالبية العظمى من النساء أنهم سيكن زوجات وأمهات ، فلا بد أن يكون تعليمهم العام وتوقعاتهم الخاصة تساعدهن على الحصول على الرضا الكامل عن أدوارهن . وبالطبع فالنساء كأفراد قد يقررن اختيار أدوار مختلفة : فإربها يردن أن يكن مهندسات ميكانيكا وبحريات ، أو عالمات فضاء ، أو يسمحن سيدات أعمال أو عضوات في الكونجرس . ويجب وجود مرونة كافية للشخص من كل من الجنسين حتى يحقق ذاته في أى مهنة أو دور سياسى ، وحتى تكون الحياة أسهل عندما لاينشغل معظم الرجال والنساء في منافسة وتناحر متبادلين .